

الدراسات المستقبلية: مقاربة مفاهيمية *Future studies: a conceptual approach*

¹ محمد سمير عياد*، ² عائشة قادة بن عبد الله

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان؛ الجزائر

² جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان؛ الجزائر

تاريخ الإستلام: 2023/03/03 تاريخ القبول: 2024/02/20 تاريخ النشر: 2024/03/01

ملخص:

إن الظاهرة السياسية خاصة والاجتماعية بصفة عامة ليست سجنية ماضيها، وليست رهينة حاضرها فحسب، وإنما مستقبلها أيضا، لأنها ظاهرة تتميز بالتغير الزمكاني المستمر. فقد يسلّم الباحث بطبيعتها اليوم، ولكنها قد تتغير في المستقبل المنظور، وبالتالي لم تعد تلك المسلمة قائمة. ومن هنا تنجلي أهمية الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية بصفة خاصة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة، وظهرت الدراسات المستقبلية المعاصرة ظهرت خاصة بشكل ممنهج بعد الحرب العالمية الثانية، وفي دواليب مؤسسات أمريكية من خلال ما يسمى بمؤسسات تسويق الأفكار وصناعة القرار، والتي من بينها *Rank Corporation*، *Think tanks* التي بدأت تنظر لنوع من المستقبلية من خلال الاستعانة بأدوات وتقنيات علمية.

الكلمات المفتاحية: الدراسات المستقبلية؛ الاستشراف؛ التنبؤ؛ التقنيات؛ المناهج

Abstract:

Political phenomena, especially social ones in general, are not confined to their past nor hostage only to their present; they are also intertwined with their future. These phenomena are characterized by continuous spatiotemporal changes. While a researcher may comprehend them in their nature today, they could undergo transformations in the foreseeable future, rendering the previously established understanding obsolete. Hence, the importance of future studies in political science, sociology, and the humanities becomes evident. Contemporary future studies emerged systematically after World War II, particularly within American

* المؤلف المراسل.

institutions, including those known as think tanks, such as the Rank Corporation. These entities began looking towards the future by employing scientific tools and techniques in what is known as the marketing of ideas and decision-making.

Keywords: Future studies, Prospectivity, Planification, Methods, Technics.

مقدمة:

كان التفكير في المستقبل أحد أهم الهواجس التي شغلت فكر الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض في العصور المبكرة جداً، وخلال كل مراحل التاريخ، وكانت مواجهة ذلك الهاجس وراء ما أحرزه الجنس البشري من تقدم وتطور. والإهتمام المتزايد بالدراسات المستقبلية مؤشر واضح على التغير الجذري الذي طرأ على موقف الإنسان من الحياة ودوره الإيجابي في تشكيل الواقع حسب تصور محدد ملل ينبغي أن تكون عليه حياته وعلاقته بالعالم الذي هو يعمل على تشكيله، لما يتفق بقدر الإمكان مع ذلك التصور ومع مصالح الإنسان نفسه. ويعتبر التطور الحادث في البحوث والدراسات المستقبلية هو نتاج طبيعي لمجمل التغيرات التي يشهدها الواقع الإقليمي والعالمي مع، وأن أي تغيير هذا الواقع يسهم بطريقة أو بأخرى في دفع الدراسات المستقبلية إلى الأمام، حيث تستجد الموضوعات، ويتطلب مع هذه الجودة تطوير الأساليب المنهجية لتحليل المستقبلي من جهة، والإعتماد على تقنيات علمية للدراسة من جهة أخرى، مما ينعكس بالتالي على زيادة درجة مصداقية النتائج التي تصل إليها هذه الدراسات المستقبلية.

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الاشكالية التالية: ما هي العوامل التي تحكم في زيادة أهمية الدراسات المستقبلية؟ وما هي أهم تقنياتها؟

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مركزية مفادها: تساعد الدراسات المستقبلية في رسم خريطة كلية للمستقبل من خلال استقراء الاتجاهات الممتدة عبر الأجيال والاتجاهات المحتملة ظهورها في المستقبل والأحداث المفاجئة، والقوى والفواعل الدينامية المحركة للأحداث للوصول إلى نتائج أكثر علمية، كل ذلك من خلال الاستعانة بأدوات وتقنيات علمية.

وللإجابة على الاشكالية تم الاستعانة بالمنهج التاريخي من خلال الرجوع إلى بعض الأحداث التاريخية التي تخدم الدراسة، كما تم التطرق إلى بعض التقنيات المستعملة في الدراسات المستقبلية.

1 أهمية الدراسات المستقبلية:

إن أهمية الدراسات المستقبلية تنبع من المفهوم المتغير للزمن، أي أن الانطلاق من المفهوم الستاتيكي لهذا الزمن، يلغي وجود الدراسات المستقبلية، أما الانطلاق من المفهوم النسبي للزمن فهو الذي يعطيها أهميتها، والنسبية في الزمن تعني أنه مرتبط بالحركة وليس بالجمود، أو أنه منفصل عن الواقع.

ولقد كان الإنسان يرصد دائما الأحداث التي تدور حوله ويعمل على استشراف التغيرات المستقبلية الناجمة في معظم الأحيان عن أنشطته هو نفسه في مختلف مجالات الحياة ويستعين بالمستجدات التي تلازم ظهور هذه التغيرات في إحداث تغيرات ومستجدات أخرى وهكذا. ولكن لم يكن لهذه التغيرات المستمرة من التأثير على حياة الفرد والمجتمع ما يمكن مقارنته بالتأثيرات الجذرية العميقة الحالية التي تهمز بقوة وعنف حياة الإنسان في كل مكان من العالم نتيجة لتراكم المعلومات والخبرات وازدياد التواصل بين الشعوب والجماعات الإنسانية التي كانت تعيش في عزلة نسبية بعضها عن البعض الآخر. ولقد أسفرت الجهود المتواصلة للكشف عن أسرار الحياة والمواطن المجهولة من تكوين العالم وارتداد مناطق ومجالات جديدة من العلم والمعرفة عن نتائج تفوق كل التوقعات التي كان يحلم بها ليس فقط الشخص العادي، بل وأيضا الكثيرون من المفكرين والمثقفين المهمومين بالوضع الإنساني بشكل عام، وتثير في نفوسهم غير قليل من الخوف من قدرات العقل البشري والقلق على مصير الإنسان ومكانته من الكون، بل وعلى مفهوم الإنسانية ذاته¹.

وقد كان من الطبيعي أن يكرس كثير من المفكرين والباحثين أنفسهم لتتبع مسار هذه الكشف ورصد النتائج التي سوف تترتب عليها وتأثيرها في الثقافة والمجتمع، ووضع التصورات المحتملة لما قد يمكن أن يكون عليه الوضع الإنساني في المستقبل القريب والبعيد، واقتراح الوسائل والأساليب التي يمكن بها مواجهة هذه النتائج ومناوأتها أو التكييف معها، وتسخير المستجدات

¹ أحمد أبو زيد، "الحاجة إلى استشراف المستقبل"، في مجلة العربي، العدد 534، ماي 203، ص.34.

الناجمة عنها لصالح الإنسان، وتقدم المجتمع، وأدى ذلك كله إلى قيام دراسة أو علم المستقبل الذي يجد الآن إقبالا شديدا عليه في الغرب وبخاصة في أمريكا، ليس فقط بين فئات معينة من العلماء الذين اتخذوا منه ميدانا للتخصص ومهنة للعمل يقدمون من خلالها الاستشارات والتوصيات للحكومات والمؤسسات العلمية، بل والشركات التجارية، وإنما أيضا من أعداد كبيرة من المثقفين العاديين بحيث بلغ عدد أعضاء (جمعية مستقبل العالم) الأمريكية أكثر من ثلاثين ألف عضو منهم ما يزيد على الألف عضو من العلماء الذين يعتبرون أنفسهم متخصصين فعلا في هذا المجال الجديد ويمارسون العمل فيه حسب قواعد ومناهج معينة تصفي عليه كثيرا من الموضوعية.

ولم يكن البعد المستقبلي غائبا عن أية فعالية للإنسان وهو يواجه ظروف تواجهه أمام الطبيعة وظروف الحياة الخاصة والعامة في المجتمعات عبر مختلف المراحل التي مرت بها الحضارة، ذلك أن أية فعالية اجتماعية، إنما تستهدف تحقيق غاية، والغاية هي توجه مستقبلي، بحيث كان فعل الحاضر أبدا مرهونا بنتاجه المترتب عن إنجازه، فإنجاز الماضي كان هو مشروع الحاضر قبل تحقيقه. هذا الإطار العام الذي اندرج فيه التاريخ عبرت عنه مذاهب فلسفية وإيديولوجيات وأديان، وقدمت تصورات عن طبيعة الحضارة ومآلها، وأكثر من هذا، فلقد طرحت هذه التصورات ما يشبه التنبؤات بالجدوى الأخيرة للعمل من ناحية، ولمصير الحضارة باعتبارها النتاج المستمر لكيونة المجتمعات.

المستقبل من أبعاد الزمان الثلاثة، ومع أن الفكر البشري توفر تاريخيا على البعدين الأولين: الماضي والحاضر بوجه خاص حتى مطلع العصور الحديثة، فالغوص في مدلول المستقبل لم يغب كليا عن ذهن قدماء الفلاسفة والمؤرخين والأنبياء، فظواهر العرافة والكهانة والتنجيم التي تميزت بها الحضارات القديمة في بلاد بابل واليونان والهند وسواها، تدل على مدى اهتمام البشرية منذ أقدم العصور باستطلاع المستقبل، كذلك الإيمان بالعالم الآخر، والدار الآخرة، وما يتصل به من مفاهيم الثواب والعقاب وخلود النفس، مرتبط بامتداد الزمان أو اكتماله في المستقبل، كما أن إقبال المفكرين والمؤرخين، منذ أقدم العصور على دراسة التاريخ الغابر وتدبر أحداثه والتأمل فيها، لم ينفصل في الغالب عن رؤيا معينة للمستقبل، وذلك هو الطابع الغالب على الفلسفات ذات البعد الخلقي والديني، التي كانت تستقرئ الماضي بغية الاعتبار، أو الاتعاظ به في التخطيط للمستقبل.

فيظهر "جانوس Janus" في الديانة الوثنية بوجهين يمثلان المعرفة المكتملة عن الماضي والمستقبل، وإذا كانت صورة "جانوس" مجازية فهي تنطبق إلى حد ما على الأمراء، لأنه من الواجب أن تشمل معرفتهم الماضي حتى يتوفر لهم الدروس في فن القيادة واختراق المستقبل، وتبين ما يمكن أن يترتب عن كل فعل، إذن فدراسة الماضي ضرورة للأمراء إذ تخول لهم فرصة الإطلاع على حياة الفضلاء، ويمكن أن نقول بأن الماضي مدرسة للحكمة، في حين أن دراسة المستقبل تلهم الحكام وتعطيهم ميزة التنبؤ، وهناك ميزة أخرى توفرها دراسة التاريخ، تكمن في مضاعفة المعلومات وإغناء الروح، وأما دراسة المستقبل فإنها تفيدنا في تحليل أَلغاز القدر ومباشرة التوقع مع الاستعداد لمواجهة، ويقول "مكيافيللي" في كتابه "الأمير"، أن أنجح الأمراء هم الذين يحسنون استعمال الحذر والذكاء المبنيين على دروس الماضي واستشراف المستقبل².

إذن فالاهتمام بمحاولة فهم المستقبل ليس ابن العقود القليلة الماضية، فقد حاول الإنسان ومنذ أقدم العصور محاولة معرفة ما يحبئه له الغد واستخدام وسائل متعددة لتحقيق ذلك، ولم تخلو حضارة من الحضارات من ظاهرة الكهانة أو التنجيم أو العرافة كصور بدائية لمحاولة معرفة بعض ما يحبؤه لنا الغد.

وقد قدم J.P. Vernant لهذه الظاهرة تفسيران³:

- **التفسير الوظيفي:** حيث اعتبر أن جهاز التكهن بالغيب هي مؤسسة لمنح الشرعية في الحالة التي تكون فيها نتائج الخيارات وخيمة العواقب بالنسبة للسياسي في الغالب أو لمن يريد معرفة أمر ذي شأن، كتوقع الحروب مسبقاً، أو حدوث كوارث طبيعية أو أوبئة أو ما شابه.

- **التفسير النسبي:** حيث اعتبر استناداً على تحليل Georges Devereux -الذي هو في ذات الوقت عالم نفسي وإثنولوجي- أن الإنسان يبحث في المستقبل لأنه يعتقد أن العالم الذي يجري فيه العمل البشري تسيره قوى اعتباطية لا يمكن للفرد أن يتعرف على الاتجاه

² فريدريك الثاني، "الرد على مكيافيللي"، ترجمة: الحسن أبو اللحية، في مجلة إفريقيا الشرق، (بيروت، 1999)، ص 118.

³ سليم قلاله، "أهمية الدراسات المستقبلية في القرن الواحد والعشرين"، في مجلة دراسات إنسانية، العدد 1، (جامعة الجزائر: كلية العلوم الانسانية، 2001)، ص.250.

الذي ستأخذه، الأمر الذي يؤدي إلى القلق الذي يؤدي بدوره إلى خداع الذات بمعارف وهمية وقبول التفسير الغيبي كمعرفة حقيقية وكدليل واضح على نظام الكون.

وفي الحالتين يستنتج Vernant أنه يتم إعطاء الشرعية لـ "التفسير الغيبي" كوسيلة للمعرفة، خاصة عندما يعجز الإنسان عن بلوغها مثلما كان سقراط ينصح أصدقائه بالقول: "عليكم بالقيام بالأعمال التي تستطيعون القيام بها وذات النتائج الأكيدة، بأنفسكم، أما تلك التي لا تعد نتائجها مؤكدة فينبغي الاستعانة بشأها بالعرافين"⁴.

وإن كان المستقبل يتسم بنوع من المثالية، فإن الهدف من دراسته هو إلغاء المنطق، أو الخروج من التفكير المنطقي إلى التفكير غير المنطقي، وفي ذلك يقول ميشال غوديه Michel Godet أن حل المشكلات المعقدة لا يتم بالتفكير المنطقي، فالمستقبل حين يصنع ليس كنوع محدد في حد ذاته، ولكن ماذا يمثل للفكر والعقل، وهذه الحالة الفكرية برزت كقدرة دائمة ومستمرة للوعي، الوعي بالحاضر والمستقبل، فالتحرك السريع من مستقبل الماضي إلى مستقبل الحاضر يعني البحث والتساؤل عن نوع المستقبلات التي يمكن أن نصنعها لأنفسنا⁵ لذلك فالمستقبل مجال للحرية، مجال للسلطة ومجال للإرادة.

والاهتمام المتزايد الآن بعلم المستقبل أو الدراسات المستقبلية مؤشر واضح على التغير الجذري الذي طرأ على موقف الإنسان من الحياة ودوره الإيجابي في تشكيل الواقع حسب تصوّر محدد لما ينبغي أن تكون عليه حياته وعلاقته بالعالم الذي يحيط به والذي يعمل هو نفسه على تشكيله بما يتفق بقدر الإمكان مع ذلك التصور ومع مصالح الإنسان نفسه. فالإنسان هو الذي يصنع مستقبله بنفسه، وقد كان ذلك هو الوضع دائما ولكنه ازداد وضوحا في العصر الحديث نتيجة لحسن استخدام وتسخير المعرفة المتراكمة والتقدم التكنولوجي الهائل الناجم عن توظيف هذه المعرفة لتحقيق إنجازات معينة. وبقول آخر فإن المستقبل هو - إلى حد كبير - ما يتصوره الإنسان وما يعمل على صنعه وإبداعه وتحقيقه. وتزايد فاعلية هذه القدرة

⁴ المرجع نفسه، ص. 251. نقلا عن:

Devereux Georges, « Considération Psycanalytiques sur la Divination Particulièrement chez les Grecs », in A. Caquot et M. Leibovici (sous la dire. De), la Divination, (Paris : P.U.F. Tome 2, 1968) , p.463.

⁵ Malaska Pentti, « inventing futures », in:

<http://www.europrospective.gov/www.wFsF.org/docs/MALASKA.pdf>. p 4. Consulté le 13 mars 2007.

الإبداعية التي يتمتع بها الإنسان والنتائج المترتبة عليها مع حسن الإفادة بشكل عقلائي من إنجازات العلم والتقدم التكنولوجي والتراكم المعرفي في مختلف المجالات.

فالدراسات المستقبلية أو علم المستقبل أو المستقبلات أصبحت في الألفية الثالثة مفتاح التغيير والاستجابة الراشدة لتحديات المستقبل ومفاجآته المحمومة والمتسارعة في حياة المجتمعات المعاصرة، والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لم تعد متدرجة في أنساقها وانسيابيتها في بُنى المجتمع الفكرية والثقافية، بل اكتسبت صفة العصر الحاضر في سرعتها واندفاعها اللاواعي نحو التغيير الحتمي الذي فرضته عولمة السوق المفتوحة، وشبكات التلفزة الفضائية، ومجريات الساحة السياسية تحت وطأة مرتزقة الحروب الإرهابية، وأصبحنا نندفع مع ذلك السيل العرم بكل غنائياته نحو المصير المجهول المنحدر نحو قيعان التبعية والغواية الاستهلاكية أو الترفيفية، كما هي سمة العصر القادم للمجتمعات العربية والحاضر للمجتمعات الغربية⁶.

وسواء كان المستقبل الذي ندرسه متسما بالعلمية أو بالمثالية، فإن أدبيات الموضوع تؤكد على وجود عدة معطيات تدفع الباحث إلى الدراسة والاهتمام بالمستقبل، ومن أبرز هذه العوامل:

- إن الرغبة الملحة في معرفة المجهول تشد كل من الباحث والانسان العادي إلى معرفة المستقبل، ولا سيما أن الكثير يتوقع أن يكون الغد أفضل من الحاضر.

- حادثة علم المستقبل وزيادة أنصاره منذ تأسيسه في أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى بشكل عام، ومنذ تطوره وإحرازه تقدما ملموسا في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بشكل خاص.

- إن علم المستقبل لا يفيد الباحث فقط في وضع تصورات مستقبلية ولكنه يفيد أيضا في تقييم الحاضر والماضي أيضا.

⁶ مسفر بن علي القحطاني، "احتياجتنا للدراسات المستقبلية"، من الموقع الإلكتروني:

http://www.ceapalgerie.com/index.php?option=com_content&task=view&id=56&Itemid=5

5 تاريخ الدخول 11 أفريل 2009

-ارتباط المستقبل بالواقع السياسي، حيث أن علم المستقبل يمكن المتخصصين من القيام بدراسات جدية قد تغطي فترة زمنية تتراوح من 10 إلى 50 عاما، ومن أمثلة هذه الدراسات نجد: قضايا التسليح، التلوث، النمو الديمغرافي...

-الدراسات المستقبلية تعتبر ضرورية وتؤدي إلى الإبداع الإنساني، حيث أن تطور مثل هذه الدراسات يحفز الأفراد إلى الاهتمام بمستقبلهم⁷.

ففي ضوء التغير السريع في المجتمعات المعاصرة، دأبت الدول والمؤسسات الدولية والإقليمية، وخاصة في الغرب على محاولة تطوير قدراتها في معرفة مستقبل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى المجالات التقنية بشكل علمي، وأصبح حقل علم "الدراسات المستقبلية" في الدول المتقدمة وجامعاتها ومؤسساتها جزء من عمليات صنع القرارات الاستراتيجية، لهذا نجد أن ثلثي الدراسات المستقبلية تقوم بها المؤسسات العسكرية والشركات المتعددة الجنسية، كما أن 97% من الإنفاق على هذه الدراسات يتم في الدول المتقدمة، بينما ينفق العالم الثالث 3% فقط، أما في العالم العربي فإن "الدراسات المستقبلية" حقل يتميز بضعف الاهتمام فيه بالإضافة إلى الشكل غير العلمي⁸.

1- مراحل تطور الدراسات المستقبلية:

تشكل الرغبة الإنسانية لمعرفة الغد ظاهرة تاريخية عرفها الإنسان في مراحل تطوره المختلفة، ولم تكن هذه الرغبة مقتصرة على الأفراد بل وعلى السلطة السياسية كذلك حيث انتشرت في أروقتها محاولات استطلاع المستقبل وما يحمله من احتمالات النصر والهزيمة أو ما يدبره الخصوم السياسيون في الخفاء. وتعج صفحات التاريخ وكتب السير والكشوفات الأثرية بالحكايات والأساطير عن استخدام القياصرة، أو الأباطرة أو الخلفاء للكهان والعرفان والمنجمين للكشف عما تخفيه الأيام القادمة، وتدللنا المراجع عن ذلك في الدولة الرومانية ولدى

⁷ مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم، الشراكة الأوروبية-المتوسطية: النتائج وردود الأفعال، ط.1، (بيروت: معهد الإنماء العربي، 2002)، ص.320.

⁸ وليد عبد الحي، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، ط.1، (الأردن: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2002)، ص.53.

الفراعنة في مصر، ولعل معبد دلفي في اليونان كان أكثر المؤسسات التاريخية شهرة بهذا الميدان. واستنادا لذلك يمكن تقسيم مراحل التطور لهذا الميدان المعرفي لثلاث مراحل:

أولاً: مرحلة اليوتوبيا:

دون الدخول في مناقشة مستفيضة لمفهوم اليوتوبيا، يحسن بنا الإشارة إلى أن أحد قسّمات الفكر الإنساني الممنهج هو تخيل بنيات أو أنساق اجتماعية قادرة على حل مشكلات الواقع المعاش دون أن يكون هناك مؤشرات كافية على إمكانية تحقق مثل هذه البنيات المتخيلة. فأفلاطون تخيل جمهورية فاضلة تقوم على العدالة، واعتقد بإمكانيتها إذا كان قادتها من الفلاسفة، والتزم أهلها بتقسيمات أفلاطون من حُكّام وجند وغيرهم، بينما تخيل القديس أوغسطين صراعاً بين مدينة الله المبنية على أساس الفضيلة ومدينة الإنسان المبنية على الغرور والشر، وافترض أن النصر سيكون حليف المدينة الأولى، وعلى الناس أن يسعوا لتحقيقها، وتخيّل فرانسيس بيكون "أطلنطا" الجديدة التي رأى فيها مجتمعاً يقوم على أساس العظمة الإنسانية، واندفع توماس مور في تخيل مجتمع يقوم على أساس الملكية الجماعية، وتختفي الملكيات الفردية ويخضع الكل لإرادة الجماعة، وزعم ماركس أن التطور الإنساني سيقودنا إلى مجتمع تختفي فيه الطبقات التي تمثل من وجهة نظره سبب الصراعات الإنسانية⁹، ويقول العالم المستقبلي فرد بولاك Fred Polak إنَّ أفكار هؤلاء الفلاسفة تعكس البنيات الاجتماعية التي انبثقت منها، وهي مرتبطة برغبات الأفراد الذين كانوا يعيشون في هذه المجتمعات¹⁰.

وقد دفع النقاش في هذه المسألة الباحثين في الدراسات المستقبلية إلى التمييز بين ثلاثة أبعاد للمسارات المختلفة للظاهرة موضوع الدراسة:

أ- **الممكن Possible**: وهو ما يعني الاحتمال الذي يمكن أن تأخذه الظاهرة ويتوفر الواقع على مؤشرات كافية لتحقيقه.

⁹ وليد عبد الحي، "الدراسات المستقبلية: النشأة والتطور والأهمية"، من الموقع الإلكتروني:

<https://ummah-futures.net/>

¹⁰ للمزيد من التفاصيل إرجع إلى:

Fred L. Pola, The Image of the Futurer: Enlightening the Past, Orienting the Present, Forecasting the Future, 1st vol. (Oceana Publications, 1961).

ب- **المحتمل Probable**: وهو احد احتمالات تطور الظاهرة لكن مؤشرات هذا الاحتمالات ليست كافية في الواقع.

ج- **المفضل Preferable**: وهو الاحتمال الذي نرغب في أن تتطور الظاهرة نحوه ولكن المقومات الموضوعية لتحقيقه محدودة بقدر كبير.

ثانيا: مرحلة التخطيط:

بقي المستقبل دائما موضع اهتمام الإنسان الفرد، كما يقول باسكال Pascal (1621-1662): "إنّ الماضي والحاضر هما وسيلتنا، وهدفنا الوحيد هو المستقبل، لذا نحن لا نحيا فقط، بل نترقب دوما الحياة، ولما كنا نتطلع دوما إلى السعادة، فلا مفر أن تستحيل علينا السعادة..."¹¹. وأول من استعمل مصطلحا يدل على المستقبل كمجال دراسي وبحت أكاديمي هو المفكر الفرنسي "توكفيل Tocqueville" سنة 1835 في كتابه "الديموقراطية في أمريكا"، الذي كان محاولة بحث في التطور المستقبلي للقوى الدولية الكبرى، ثم بعده استخدم عالم الاجتماع جيلفان Gilvin مصطلح "أحداث المستقبل" سنة 1907¹².

هذا وشكل إنشاء الحكومة السوفيتية في عام 1921 للجنة أوكلت لها مهمة وضع خطة حكومية لتعميم الكهرباء على معظم مناطق الاتحاد السوفيتي خلال خمس سنوات نقطة تحول في نطاق الدراسات المستقبلية. فرغم الاستهجان الذي قوبلت به هذه الفكرة من حيث صعوبة الاقتناع بإمكانية التحكم في مسار الأحداث لخمس سنوات، إلا أن النجاح في إنجاز الخطة أثار فكرة التخطيط بعيد المدى، وكيفية توقع التغيرات والبحث في ميكانيزمات التكيف مع هذه التغيرات، مما فتح المجال أمام دراسة التغير والتكيف وكيفية التفاعل بينهما (وهو موضوع شائك ومرهق في نطاق الدراسة المستقبلية)، وتركزت هذه الجوانب أثرها على الباحثين

¹¹ ماجد فخري، "تطور فكرة المستقبل في العصور القديمة والحديثة"، مجلة الفكر العربي، العدد 10، مارس-أفريل 1979. ص.ص 10-25.

¹² وليد عبد الحي، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، (الجزائر: شركة الشهاب، 1991)، ص 16.

الغربيين، وتبلور ذلك بداية بظهور مجلة الغد (Tomorrow) في بريطانيا عام 1938، ومما لفت الانتباه في هذه المجلة تأكيدها على ضرورة إنشاء وزارة للمستقبل في بريطانيا.

وفي عام 1949 ابتكر المؤرخ الألماني أوسيب فليشتايم Ossip. K. Flechteim مصطلح "علم المستقبل Futurologie" ليشير به إلى علم جديد عرفه بأنه نظام علمي جديد منبثق عن وحدة تكاملية بين الزمن والحقائق المكتشفة، وهذا النظام يتعامل مع نفس الأشياء بطريقة جديدة، وقد دشن كتابه "التاريخ وعلم المستقبل" عملية تطبيق واسعة لهذا العلم، تستهدف التنبؤ بعيد المدى¹³، ولذلك يعتبر مصطلح علم المستقبل أوروبيا وليس أمريكيا، وإن نشأ وتطور في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن على يد علماء أوروبيين هاجروا واستقروا في أمريكا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد أدت النتائج المأساوية للحرب العالمية الثانية إلى طغيان الإحساس بمستقبل أسود للعالم مما خلق حالة نفسية لا تشجع على الدراسة المستقبلية، لكن عددا من الفلاسفة وفي طليعتهم الفيلسوف الفرنسي غاستون بيرغر Gaston Berger تحدى هذه النظرة وأنشأ عام 1957 المركز الدولي للاستشراف Centre International de Prospective بهدف تشجيع الباحثين على النظر إلى الغد بطريقة أكثر تفاؤلا، وتركزت جهود غاستون بيرغر على جانبين:

- التأكيد على عدم الفصل بين الظاهرة الاجتماعية من ناحية، والتطور التكنولوجي من ناحية ثانية، ومن هنا بدأ الربط بين بعدين هما الدراسات المستقبلية الخاصة بالتطورات التكنولوجية، ثم الدراسات المستقبلية الخاصة بأثر التطورات التكنولوجية المشار لها على الظواهر الاجتماعية مع إيلاء الأبعاد السياسية أهمية واضحة. وقد أدت هذه المسألة إلى تحول كبير في مناهج البحث في الدراسات المستقبلية، فأصبح الربط بين التقني والاجتماعي والتفاعل بينهما من بين أسس الدراسات المستقبلية، وأصبحت تقنيات الدراسات المستقبلية تركز على كيفية إيجاد طرائق بحثية تربط بين التطور التقني والتطور الاجتماعي المستقبلي، والذي تجلّى بشكل كبير

¹³ خلدون الشمعة، "سوسيولوجيا المستقبل: بين المستقبلية وعلم المستقبل"، مجلة العربي، العدد 10، مارس-أفريل 1979، ص 210.

في بعض التقنيات المعروفة مثل تقنية دلفي Delphi Technique، أو مصفوفة التأثير المتبادل¹⁴ Cross Impact Matrix.

- التركيز في التحليل المستقبلي على الآثار البعيدة وعلى الاتجاهات Trends وليس على الأحداث Events، وقد نجم عن ذلك تداول تصنيف مينوسوتا (نسبة للولاية الأمريكية) في المدى الزمني للدراسات المستقبلية الذي يقوم على خمسة أبعاد:

- المستقبل المباشر: ويمتد لعامين.

- المستقبل القريب: ويمتد من عامين إلى خمسة.

- المستقبل المتوسط: ويمتد ما بين خمسة إلى عشرين عاما.

- المستقبل البعيد: ومدته بين عشرين إلى خمسين عاما.

- المستقبل غير المنظور: أكثر من خمسين عاما.

على أن الدراسات المستقبلية عرفت نقلة نوعية في العام الذي أنشأ فيه بيرغر مركزه من خلال الجهود التي شرع فيها العالم الفرنسي بيرتراند دو جوفنيل Bertrand de Jouvenel بالتعاون مع مؤسسة فورد الأمريكية، وتمكن من إنجاز مشروع المستقبلات الممكنة (Futuribles)، وقد أكد جوفنيل¹⁵ على ثلاثة جوانب عند إنجاز الدراسة المستقبلية:

- الاتجاهات السائدة لظاهرة معينة، وحدد كيفية رصد هذه الاتجاهات.

- سرعة الاتجاهات: بمعنى قياس كمية التغير في ظاهرة معينة خلال زمن معين من ناحية والتسارع في هذا التغير، وهو الأمر الذي تطور في الدراسات المستقبلية باستخدام قوانين رياضية للتسارع ودمجها في التحليل.

¹⁴ للمزيد من التفاصيل حول تقنيات الدراسات المستقبلية، إرجع إلى: وليد عبد الحفي، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ط.2. (مراكش، د.د.ن، 1992). ص.ص: 23-145.

¹⁵ Bertrand de Jovene, The Art of Conjecture, Translated by Nikita Lary, (Basic Books, N.Y. 1967).

-العلاقة بين الظواهر: وتعني توفر إطار نظري يقوم على إدراك التفاعل المتبادل بين الظواهر مهما بدت غير مترابطة، ورفض المنهج التجزيئي (Reductionism) والتركيز على المنهج "الكلي" (Holism) (وهو المنهج الذي يعني أن الكل أكبر من مجموع أجزائه)

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن تم تأسيس في سنة 1947 في الولايات المتحدة الأمريكية مركز الاستطلاع التكنولوجي بعيد المدى للجيش، وفي 1959 نشر أولف هيلمون ونيكولا ريتشر بحثاً بعنوان إستيمولوجيا العلوم غير الأساسية، اشتمل على قاعدة فلسفية لاستطلاع المستقبل، وأسس نورمان في 1968 معهد المستقبل، كما أسس هيرمن كاهن مؤسسة هودسون التي تهتم بالدراسات المستقبلية، قبل ذلك بقليل وفي 1966 حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تجميع القدرات البحثية في مجال المستقبل في جمعية أطلق عليها اسم World Future Society التي بلغ عدد أعضائها سنة 1977 حوالي 2400 عضو، ويبلغ العدد اليوم أكثر من 30 ألف عضو¹⁶.

ولقد ظهرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي أسماء كثيرة لها شهرتها في مجالات متنوعة من المعرفة، ولكن كان لها أيضا في الوقت ذاته آراء وأفكار ناضجة عما سيكون عليه الوضع العالمي في المستقبل، وبخاصة في مجالات تخصصاتهم، وذلك بالإضافة إلى كتابات العلماء المتخصصين أصلا في علم المستقبل أو الدراسات المستقبلية، وربما كان أشهر هؤلاء المفكرين المهتمين بالموضوع - على الأقل بالنسبة للقارئ العربي - هو ألفين توفلر صاحب كتاب (صدمة المستقبل) الذي صدر عام 1970 وكان له صدى واسع في الأوساط العلمية والإعلامية سواء بالنسبة لآرائه وتصوّراته المستقبلية أو بالنسبة للنظرة المنهجية الكلية الشاملة التي تناول بها المشكلات التي يدور حولها الكتاب، ولم يذهب أحد من هؤلاء الكتاب المفكرين أو من المتخصصين في علم المستقبل إلى ادّعاء أن ما يصدر عنهم من آراء أو توقعات هي نبوءات وأحكام أخيرة قاطعة، بل كانوا يدركون دائما أنها مجرد احتمالات أمكن الاستدلال عليها من القراءة العقلانية المتأنية لسير الأحداث ومتابعة الأوضاع والظروف العامة المحيطة

¹⁶ Edward Cornish, "The Search for Foresight: How THE FUTURIST Was Born", in: http://www.wfs.org/Nov-Dec%20Files/The_Search_for_Foresight.pdf, Consulté le 10 avril 2009.

بالمجتمع العالمي وانعكاس هذه الأوضاع والظروف على الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية المختلفة.

وارتبط الاستشراف في فرنسا في البداية بالتخطيط وأثناء إعداد المخطط الثالث 1955-1961 تم تشكيل لجنة قدمت تقريراً مستقبلياً عن الوضع المالي في فرنسا إلى غاية 1965، ونشير إلى أن مصطلح الاستشراف ابتكره الرائد الفرنسي لهذا العلم غاستون برجييه Gaston Berger في بداية الخمسينيات ومعناه لغويًا علم الريادة وأحياناً يطلق عليه اسم علم التوقعات. بعد ذلك تمكن الفرنسيون من تأسيس الدراسات المستقبلية عن طريق عدد من الباحثين خاصة جون فوراستيه Jean Fourastié الذي جاء بفكرة أنه لا يمكن فهم أية ظاهرة إلا ضمن النظرة بعيدة المدى¹⁷⁽¹⁷⁾، ومن أهم مناضلي المستقبل نذكر أيضاً أندري غروس André Gros ولويس أرمون Louis Armand، بيار ماسي Pierre Massé، بلوش لبني Bloch-Lainé برتراند دي جوفنيل Bertrand de Jouvenel الذي كتب مؤلفه "فن التخمين" وأطلق مفهوم Futurable، هذا وقد أنشأت فرنسا مركز الاستشراف والتقييم في وزارة الدفاع الوطني في 1964، وفي 1973 أنشأت مركز التحليل والتوقع بوزارة الخارجية.

أما في بريطانيا فقد بدأت هذه الدراسات بتأسيس "اللجنة المعنية بـ 30 سنة القادمة" من قبل المجلس البريطاني للبحوث في العلوم الاجتماعية سنة 1960، وتعدّ السويد الدولة الأوروبية الأكثر اهتماماً بالدراسات المستقبلية في أوروبا نظراً لأنها أنشأت وزارة للمستقبل سنة 1973، وجعلتها تابعة مباشرة لرئاسة الوزراء.

والفكر الإسلامي المعاصر لم تغب عنه أهمية استشراف المستقبل مع محدودية هذا الطرح في الساحة الثقافية، ولكن الذي يشكّل غياباً ملحوظاً في برامجنا الثقافية عدم وجود المنهجية العلمية التي تحوّل استشراف المستقبل إلى منهجية علمية لها أساساتها المعرفية وتقنياتها الإستراتيجية، ولعل ندرة المراكز المتخصصة في الدراسات المستقبلية في بلادنا العربية شاهد على ضعف العمل بالدراسات والنظريات المستقبلية، في مقابل التكاثر الهائل لتلك المراكز في الغرب المعاصر. ومن بين المفكرين نجد كل من اسماعيل صبري عبد الله الذي كتب "صور

17 ويكيبيديا، الموسوعة الإلكترونية الحرة، من الموقع الإلكتروني http://en.wikipedia.org/wiki/Jean_Fourasti%C3%A9 تاريخ الدخول 10 أبريل 209.

المستقبل العربي"، وعبد المنعم سعيد حول "العرب ومستقبل النظام العربي"، المهدي المنجرة في كتابه "مستقبل الماضي"، خير الدين حسيب في "الأمة العربية والخيارات البديلة"، كما لا ننكر إسهامات الجزائريان وليد عبد الحفي في "الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية" أو "مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية"، وكذا الأستاذ سليم قلاله الذي له عديد من المقالات حول موضوع الدراسات المستقبلية، والذي يعود له الفضل في ترجمة كتاب "الاستشراف الاستراتيجي للمؤسسات والأقاليم"، والذي أسس مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف بالجزائر سنة 2005¹⁸.

أما في الدول النامية، فقد كان للدول الفرنكوفونية السبق في هذا المجال بحكم التأثير بالجهود الفرنسية، كما أن بعض دول أمريكا اللاتينية لا سيما الأرجنتين والمكسيك عرفت محاولات في هذا المجال. وربما كان العالم العربي آخر الآخذين بهذا الموضوع، فلم تدخل مادة الدراسات المستقبلية كموضوع أكاديمي في الجامعات العربية إلا في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، ولكنها بدأت في الانتشار فيما بعد، وإن كان يغلب عليها الدراسات الانطباعية والفقيرة في توظيف التقنيات العلمية المعتمدة في هذا المجال

ثالثا: مرحلة النماذج العالمية:

يلاحظ على المرحلة السابقة في تطور الدراسات المستقبلية أنها تركزت على المستقبل وقد نظر له من زاوية دولة معينة أو إقليم معين، إلا أن تطورا معينا نقل الدراسات المستقبلية من مستوى الدولة الواحدة أو الإقليم الواحد إلى مستوى العالم ككل، فأصبح التركيز على مستقبل المجتمع الدولي أو النظام الدولي، أو موضوعات ذات شأن دولي كأسلحة الدمار الشامل، أو الإرهاب أو التدخل الإنساني أو البيئة.. وهي موضوعات لا تنحصر في إطار دولة أو إقليم.

وتقوم أسس الدراسة المستقبلية في النماذج العالمية على:

¹⁸ ميشال غوديه، فيليب دوران، قيس الهمامي، الاستشراف الاستراتيجي للمؤسسات والأقاليم. تر. محمد سليم قلاله وقيس الهمامي، (باريس: مخبر الابتكار، الاستشراف الاستراتيجي والتنظيم، د.س.ن). ص.9.

- تحديد المتغيرات التي تؤدي إلى انهيار أو بقاء النظام الدولي في حالة توازن، ولعل أهم الأفكار التي برزت في هذا الجانب هي أفكار العالم المعروف بروغوجين¹⁹ (*Prologine*) عن فلسفة عدم الاستقرار (*Philosophy of Instability*) والتي كان لها أكبر الأثر على مفهوم النظام في الدراسات المستقبلية.

- تحديد ميكانيزمات التكيف المتوفرة للنظام الدولي لمواجهة التغيرات المحتملة مثل: دراسة مساحات الأراضي الزراعية لمواجهة الزيادة السكانية، أو العلاقة المستقبلية بين سباق التسلح والفقر.

- تحديد قدرة الوحدات الدولية القائمة على تعبئة مواردها لمواجهة التغيرات.

- تحديد المسوغات القانونية التي تبرر التدخل من القوى الخارجية لضبط الخلل على المستوى الدولي.

- اعتبار عملية التغير هي القاعدة.

واستنادا لهذه الأسس أخذ الجانب المنهجي في الدراسات المستقبلية في إطار النماذج العالمية الخطوات التالية:

- التقسيم الجغرافي للعالم، حيث يقوم النموذج على تقسيم العالم إلى عدد معين يختلف من نموذج لآخر، ويتم التقسيم على أساس معيارين هما التجاور الجغرافي وتقاليد التفاعل التاريخية.

- تحديد عدد من القطاعات (السياسية والتكنولوجية والاقتصادية... الخ) واعتبار هذه القطاعات نظاما تطوي بداخلها نظاما فرعية (تقسيم اقتصادي إلى فروع المعروفة).

- دراسة التفاعل بين القطاعات والأقاليم على أساس التأثير المتبادل بينهما، وتتم الدراسة في هذا الجانب على أساس التأثير الوظيفي بين القطاعات في الأقاليم والأساس الجغرافي من خلال تأثير كل إقليم على الأقاليم الأخرى.

¹⁹ Ilya Prigogine, « The philosophy of instability». Futures. Volume 21, Issue 4, August 1989, Pages 396-400

- تحديد اتجاهات التفاعل لتحديد الاحتمالات المستقبلية عبر استخدام تقنيات الدراسات المستقبلية.

ومن غير الممكن تناول النماذج العالمية دون التوقف عند أحد أهم علماء هذا الميدان، والذي صنفته الجمعية العالمية للدراسات المستقبلية كأهم عالم في هذا المجال، وهو العالم الأمريكي بكمينستر فولر²⁰ (*Buckminster Fuller*)، ويعد فولر من أبرز رواد المدرسة المعيارية في الدراسات المستقبلية، لا سيما تركيزه على احتمال تحقيق السلم الدولي، ولعل نموذج الذي أطلق عليه اسم اللعبة العالمية (*Great Logistic Game*) يستحق منا تلخيصاً له.

بنى فولر قبة تعادل مساحتها مساحة ملعب كرة السلة، ورسم عليها خريطة للعالم أبرز فيها كل التضاريس، وربطها بالحاسوب الذي يضم قاعدة معلومات ضخمة عن الموارد العالمية، والاتجاهات الإنسانية والاحتياجات والمشكلات الدولية... الخ، ووضع هدفاً لكل باحث يتمثل في محاولة وضع أفضل معادلة لتحقيق أفضل النتائج في ضوء المعطيات المتوفرة، فعلى سبيل المثال لو كانت دالة النموذج هي تقليص الحروب فإن المعادلة يجب أن تحقق استخدام الموارد المتاحة فقط؛ لتحقيق هذه الدالة في أقصر فترة ممكنة (وبديهي أن ذلك يحتاج دراية واسعة في التحليل الرياضي).

وقد ساعدت هذه الخطوات على اعتبار عمليات استشراف المستقبل دراسة علمية أو حتى علماً قائماً بذاته، وله مقوماته التي تبرر الإقبال المتزايد على التخصص فيه، وإن كان هذا لا يمنع من أن الأحداث المفاجئة قد تأتي مغايرة لكل التوقعات في بعض الأحيان. ويرى الكثيرون أن ذلك يفرض بعض المحاذير على اعتبار دراسة المستقبل (علماً) بالمعنى الدقيق للكلمة.

إذن فالباحث أو العالم المتخصص في علم المستقبل يعيش بذهنه في ذلك المستقبل وينظر إلى الغد على أنه تاريخ يمكن قراءة اتجاهاته الرئيسية، كما أنه (أي العالم المستقبلي)

²⁰ Richard Buckminster Fuller (July 12, 1895 – July 1, 1983) was an American architect, systems theorist, author, designer, inventor, and futurist. He styled his name as R. Buckminster Fuller in his writings, publishing more than 30 books and coining or popularizing such terms as "Spaceship Earth", "Dymaxion" (e.g., Dymaxion house, Dymaxion car, Dymaxion map), "ephemeralization", "synergetics", and "tensegrity".

يعمل جاهدا وبأسلوب علمي دقيق على اللحاق بالغد، والسيطرة عليه وتوجيهه قبل أن يفاجئه ذلك الغد بحقائقه ووقائعه فيتحكم في حياته ويسلبه حريته في التفكير والعمل، كذلك يتمتع الباحث أو العالم المستقبلي بقدرة فائقة على الإحاطة الشاملة بالأوضاع السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه وفي فرع تخصصه المعرفي الدقيق وتحليل هذه المعطيات في ضوء الاتجاهات العالمية حتى يمكنه إعداد الأذهان للمتغيرات والمستجدات المتوقعة ووضع الخطط الملائمة للتعامل معها على المدى القريب والمدى البعيد مع الاستناد إلى دراسات ميدانية دقيقة وعدم الركون إلى الظن والتخمين إلا في الحدود التي تسمح له بها المعلومات المؤكدة اليقينية .

2- إشكالية المصطلح:

أكثر المصطلحات تداولاً في الدراسات المستقبلية هو الاستشراف وهو الترجمة المتعارف عليه للكلمة الفرنسية *Prospective* والتي تعني محاول استخدام طرق علمية متعارف عليها لرسم وتحديد بدائل للمستقبل يمكن لصانع القرار الاسترشاد بها قبل اتخاذ القرار، وعند الأمريكيين يقابل هذا المصطلح مصطلح آخر هو علم المستقبل *Futurology* حيث أن الأمريكيين يعتبرون أن هناك إمكانية لتصنيف الاستشراف ضمن دائرة علوم المستقبل، ولا يستخدم العلماء الأمريكيون مصطلح الاستشراف إلا نادراً، في الوقت الذي لا يستخدم الفرنسيون مصطلح علم المستقبل إلا نادراً، وهي إحدى مجالات الخلاف بين المدرستين، وإن كان هذا العلم متطوراً بشكل كبير في أمريكا وفي السويد أكثر من أي بلد آخر²¹(19).

والمستقبل غير محدد سلفاً، إذ لا يمكن معرفته، وهو مفتوح على عدة مستقبلات ممكنة *"Des futures possibles"*، وهو المصطلح الذي جاء به الفرنسي *Bertrand de Jouvenel* ويستعمل اختصاراً *Futuribles* باعتبار أن مستقبل الإنسان مفتوح النهاية على كافة البدائل وعلى الجهد الإنساني أن يتوجه إلى اختيار أفضلها، فهناك مستقبلات تموت ومستقبلات تبرز، أي هناك حالات سكون وتبدل، لذلك أصبح من الأهمية بمكان السهر على رؤية الإشارات الحاملة للمستقبل *"Signes porteurs de future ou d'avenir"*، باعتبار أن الحاضر يتضمن

²¹ سليم قلاله، "مفهوم الاستشراف"، في جريدة السفير، العدد 135، من 30 ديسمبر 2002 إلى 5 جانفي 2003، ص.8.

اتجاهات ثقيلة تبدو وكأنها ستستمر على حالها، وإشارات ضعيفة حاملة للمستقبل ينبغي الانتباه إليها، ذلك أن رؤية المستقبل تنطلق من رؤية الإشارات الضعيفة الموجودة في الحاضر.

إن الباحث في المستقبلية يواجه إشكالية المصطلحات التي استعملت للدلالة على علم المستقبل وهي: الغيب، الاثوية، التخطيط، التنبؤ.

أ- الغيب:

إن هناك فرقا شاسعا بين "الغيب" الذي هو من علم علام الغيوب سبحانه وتعالى، وبين مفهوم "المستقبل" الذي يوظفه الخبراء في مجال الدراسات المستقبلية، والقرآن الكريم مليء بالمصطلحات والألفاظ الداعية لإمعان النظر والإعداد للمستقبل، مثل قوله تعالى في الآيات الكريمة:

- "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد". سورة الحشر، الآية 18.

- "أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون". سورة الأعراف، الآية 185.

- "ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصر، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وكل أتوه داخرين". سورة النمل، الآيتان 68-87.

ففي هذه الآيات كلها وغيرها دعوة للاستفادة من الحاضر والعمل فيه، مع إمعان النظر في المستقبل والاستعداد له، المستقبل الذي هو الآخرة من جهة، والعمر المقبل من الحياة الدنيا من جهة أخرى.

أما بخصوص كلمة "الغد"، فقد وردت خمس مرات في القرآن الكريم، وذلك في المواضع الآتية من قول الحق:

- "ولتنظر نفس ما قدمت لغد". سورة الحشر 18.

- "أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون". سورة يوسف 12.

- "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا". سورة الكهف 23.

- "وما تدري نفس ماذا تكسب غدا". سورة لقمان 34.

- سيعلمون غدا من العذاب الأشر". سورة القمر 26.

ونلاحظ أن بقدر ما تدعوا الآيتان الثالثة والرابعة المؤمنين إلى رفض الكهانة التي تريد أن تقدم تاريخاً مفصلاً للغد، بقدر ما نجد دعوة صريحة في الآية الأولى إلى إستشراف الغد حتى يزود الإنسان بالتقوى اللازمة، وإن خير زاد الإنسان التقوى، وقد قال سيد الخلق، رسول الله محمد "صلى الله عليه وسلم": "أنا نبي ولست نبيئاً".

والإسلام في حد ذاته يشكل نظرة شاملة للعالم الديني الحاضر والعالم الآخر المقبل، وهو يحمل في طياته الصلة التي يقيمها بين العالمين، ديناميكية أساسها التغيير وحوافزه في جميع المجالات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ديناميكية تجعل الإنسان مسؤولاً عن مستقبله.

بالتالي لا يصح من المسلم أن يقف موقفاً سلبياً من مستقبله مهما كان، إذ القرآن والسنة قد حثاه على العمل في كل الأحوال، ومن يعتقد العقيدة الإسلامية اعتقاداً صحيحاً ويفهمها فهماً صائباً يتحرك -ولا بد- لتحسين مستقبله تحركاً قوياً متوازناً موفقاً، إن معرفة سنن الله في الحياة معرفة مفصلة ومراعاتها مراعاة دقيقة تفتح للإنسان أسباب النجاح وتطلعه على أبواب التوفيق، المطلوب من الإنسان هو العمل في حالي الخير والشر، فالأخبار الطيبة تحركه وتنشطه، والأخبار السيئة تحذره وتضبطه، تزكية النفوس والعمل الصالح تؤهل الإنسان بأن يتلقى الفيوضات الإلهية فيكشف الله له بعض غيوب المستقبل بما يعينه على طاعة الله، الالتزام بشرع الله مطلوب في كل الأحوال، ادعاء علم الغيب على الوجه الجازم من الكبائر المنهي عنها شرعاً بل قد يصل إلى دائرة الكفر²².

²² فهمي إسلام جيوانتو، "إستشراف المستقبل في القرآن والسنة"، من الموقع الإلكتروني:

http://www.ceapalgerie.com/index.php?option=com_content&task=view&id=56&Itemid=5

5 تاريخ الدخول 11 أفريل 2009

ب- التخطيط والمستقبلية:

التخطيط هو عملية إرادية لإنجاز أهداف محددة، في حين أن المستقبلية أهدافها غير محددة، كما أن التخطيط يحتاج إلى معلومات من الحاضر ومن المستقبل، في حين أن المستقبلية تبتكر معلومات عن المستقبل بطرق علمية.

ج- الأثوبيا والمستقبلية:

إن الأثوبيا لا تقوم على التحليل وليس لها جذور في الحاضر في حين أن المستقبلية تحليل شامل للنظام الاجتماعي في فترة زمنية محددة في الحاضر والمستقبل، كما أن الأثوبيا هي عملية تفكير ساكنة أي ثابتة في الزمن في حين أن المستقبلية هي عملية تفكير متحركة أي ترى الزمن في حركته وتتعامل معه على هذا الأساس، هذا ناهيك عن أن الأثوبيا تقوم على الخيال الإنساني الذاتي في حين أن المستقبلية تقوم على ديناميكية التفكير الإنساني.

د- التنبؤ والمستقبلية:

إن التنبؤ عبارة عن قراءة للمستقبل على ضوء معطيات الحاضر، أي لا يتدخل في المسار المستقبلي إنما يقرؤه فقط²³⁽²¹⁾، وينقسم إلى التنبؤ الفردي والتنبؤ الجماعي.

3- تقنيات الدراسات المستقبلية:

يعتبر التطور الحادث في البحوث والدراسات المستقبلية هو نتاج طبيعي لمجمل التغيرات التي يشهدها الواقع الإقليمي والعالمي معاً، وأن أي تغيير في هذا الواقع يسهم بطريقة أو بأخرى في دفع الدراسات المستقبلية إلى الأمام، حيث تستجد الموضوعات، ويتطلب مع هذه الجودة

²³ للمزيد من التفاصيل راجع:

Janet B. Johnson and Richard A. Joslyn, Political Science Research Methods, Washington: D.C: CO Press, 1991, p.p.18-19.

تطوير الأساليب المنهجية للتحليل المستقبلي، مما ينعكس بالتالي على زيادة درجة مصداقية النتائج التي تصل إليها هذه الدراسات المستقبلية²⁴.

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن الدراسات المستقبلية ليست معنية بتفاصيل الحياة الدولية، بمقدار عنايتها بالاتجاهات، أي المسار العام للظاهرة وحيث أن هذه الدراسات ترى في الوحدة السياسية مركزاً لعملية تغير وتكيف مع بيئاته المختلفة بشكل متواصل، فإنها معنية بشكل أساسي بمحصلة هذه التفاعلات خلال حقبة زمنية معينة²⁵.

هذا ولا يمكن لأي باحث أن يقوم بعمل بحثي استشرافي بدون أن يكون على دراية بمعنى التقنيات وخصائصها وكيفية بنائها والقدرة على التحكم فيها، ومن بين أقدم تقنيات الدراسات المستقبلية نجد:

أ- تقنية السيناريو:

يعني السيناريو وصف سلسلة من الأحداث التي يمكن وقوعها في المستقبل، وهو بمثابة تقدير لوضع النظام الموجود في الواقع عن طريق تحديد المتغيرات الرئيسية من جهة، ومن جهة أخرى تحديد الرهانات الاستراتيجية²⁶. وتقوم صياغة السيناريوهات أساساً على وضع فرضيات بناءً على تحليل مورفولوجي وشكلي لظاهرة معينة، تخضع هذه الفرضيات بعد تنقيتها إلى صيغة تدعى: التطابق/القبول، وهذا على أساس الخبراء الموجودين خارج مجموعة العمل، وهذا بغرض إضفاء الموضوعية في الدراسة المستقبلية، وبعد هذه المرحلة يقوم الخبراء باقتناء الخيارات اللازمة والتي تم الاتفاق عليها بالأغلبية.

ويتم إعداد السيناريو وتطويره عبر ثلاث مراحل:

²⁴ جمال علي زهران، "الاتجاهات الحديثة في الدراسات المستقبلية في علم السياسة"، في السياسة الدولية، ع 153، يوليو 2003، ص.31.

²⁵ وليد عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010. (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000)، ص.231.

²⁶ Kees Van Der Heijden, Scenario, Strategies and the Strategy Process, Netherlands: Centre for Organisational and Change. In www.Heijden@nijenrode.nl. P.33.

- دراسة حقائق الوضع القائم، أي توصيف مظاهر ومعطيات الظاهرة في الزمن الحاضر.
- اختيار إحدى التطورات المحتملة لهذه الظاهرة، أي تحديد مسار هذه الظاهرة مستقبلا عبر الأخذ بإحدى المسارات المحتملة لها.
- تصور الآثار ومداهما الناجمة عن مثل هذا المسار، أي بعد أن يختار المسار المحتمل، نبدأ في تحديد التبعات التي ستلي ذلك الاختيار.

وهناك ثلاثة أنواع من السيناريوهات: السيناريوهات الكلاسيكية، السيناريوهات الاتجاهية عن طريق التكرار، سيناريو التضاد أو التناقض²⁷. ويرى الدكتور مهدي المنجرة أن تقديم ثلاثة سيناريوهات على شاكلة: سيناريو محافظ، سيناريو إصلاح، سيناريو التغيير، هي مقارنة كلاسيكية في علم المستقبل²⁸، وينظر أغلب منظري العلاقات الدولية ومحليليها إلى فرضيات استمرار الوضع القائم بعين عدم الرضا، فالعلاقات الدولية متحركة ومتغيرة تخضع لعديد من المؤثرات والعوامل، ولا يمكن لمعطيات اليوم ألا تؤدي إلى نتائج في الغد، وما يسمى بالوضع القائم، هو حالة عرضية في العلاقات الدولية وليس غاية في حد ذاتها.

ب-تقنية دالفي:

ظهرت خلال الستينات وابتدعها كل من هلمر *Olaf Helmer* ونورمان *Norman Dalky* خلال عملهما في مؤسسة راند كوربوريشن، ترمي إلى إبراز توافقات في الآراء وإظهار بعض الإجماعات حول مواضيع معينة وذلك بفضل إستجواب خبراء عن طريق إستبيانات متتالية²⁹.

إذن تتطلب هذه التقنية عدد كبير من الخبراء يقومون بتفتيت الظاهرة موضوع الدراسة ثم بطرح كل معطى من معطياتها على الخبير المعني ومقابلة رأيه بآراء الآخرين في مرحلة ثالثة،

²⁷ Monique Commandre, *Penser la Formation de Demain, Prospective et Scénarios pour la Formation Ouverte*, (Montpellier : Centre d'études et de Recherche sur l'Information et la Communication, 2002), p.07.

²⁸ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل، ط.2، (الجزائر: شركة الشهاب، 1992)، ص.222.

²⁹ ميشال غوديه، فيليب دوران، قيس الممامي، مرجع سابق، ص.ص.114-115.

ثم إعادة طرح الآراء على مجموعات الباحثين ليكيف كل موقفه وهكذا إلى أن يتم رسم الصورة المستقبلية الأكثر قبولاً من قبل مجموع الخبراء.

ج-الاستشفاف:

يعرف في مجال الدراسات المستقبلية بأنه تلك العبارة التي تصاغ على النحو التالي: "إذا حدث أ فإن ب سيحدث في الوقت ص وتتم متابعتها بأشكال متعددة"³⁰.

د-دولاب المستقبل:

تستند هذه التقنية إلى القول بأن أية واقعة في الحياة الدولية سوف تنشئ سلسلة من الآثار المترتبة على بعضها البعض، وفي هذه التقنية يتم وضع الحدث المركزي في دائرة، أي منتصف الدولاب، على شكل كلمة أو شبه جملة، وحول هذه الدائرة جملة من الآثار المباشرة، والتي تصبح مرتبطة بالنتائج التي تليها، كما لو أن الأخيرة هي مركز الحركة أو الدولاب، أي أن هناك سلسلة متتابعة من الآثار، غير أننا لا ندرك الآثار غير المباشرة إلا بخلق هذا التتابع في الآثار.

خاتمة واستنتاجات:

لقد تخطت الدراسات المستقبلية في الوقت الحالي تلك المرحلة الأولية المليئة بالخيال الذي لم يكن يستند في معظم الأحيان إلى حقائق ووقائع مدروسة بطريقة علمية دقيقة كما هو الشأن الآن، بل ولم تعد هذه العمليات تقنع بالتنبؤ بما سوف يحدث اعتماداً على رصد الواقع ثم تهيئة الأذهان للتغيرات المحتملة حدوثها، وإنما أخذت تهتم إلى جانب ذلك بالتخطيط العلمي السليم لمواجهة هذه التغيرات بإجراءات حاسمة وفعالة، أي أنه أصبح لها أهداف عملية أو تطبيقية تتجاوز مرحلة المعرفة النظرية البحتة وتعني بوضع الخطط ورسم السياسات التي تكفل حسن الاستفادة من هذه التغيرات مع الاستعانة في ذلك بقراءة التاريخ ورصد مسار الاتجاهات العامة السائدة في المجتمع، بل وفي العالم كله، والنظر إلى الأحداث من منظور شامل وكلي يأخذ في الاعتبار مختلف الاحتمالات والإمكانات.

³⁰ سليم قلالة، "أهمية الدراسات المستقبلية في القرن الواحد والعشرين"، مرجع سابق، ص.359.

ومن خلال هذه الدراسة يمكن الخروج بالنتيجتين الرئيسيتين التاليتين:

1- إن الدراسات المستقبلية، كمحاولة لاستشراف المستقبل، هي ذات أبعاد تاريخية، قد تحسب بقرون من الزمن (من قبل اليونان) أما إذا نظرنا إليها كعلم فينبغي أن نميز بين الباحثين الذين يستندون إلى الدراسات التي قام بها مختصون في مراكز البحث، وبين أولئك الذين قدموا التصورات والخلاصات العامة لما يمكن أن تكون عليه البشرية في المستقبل.

2- ينبغي أن نميز بين المؤسسات البحثية الغربية للدراسات المستقبلية واهتمامات الدول والأفراد لهته الدراسات، حيث تصبح في بلدان الجنوب مجرد اهتمامات فردية ليس لها انعكاس على المجتمع، بالرغم من أن لها أهمية قصوى، باعتبارها تمكننا من معرفة البدائل التي يمكن أن تكون عليها أوضاعنا خلال خمسة عقود من الزمن أو أكثر.